فكر التنمية السياسية في المجال العام:
أبراهام كايپر أنموذجًا!

الدكتور القس/ موريس يوسف

واجه الإيمان المسيحي منذ بدايته تحديات عديدة. بعض هذه التحديات تعلقت بطبيعة الإيمان المسيحي ذاتهِ؛ ما هو صلب العقيدة المسيحية؟ ما هو جوهر هذا الإيمان؟ نتجت بعض التحديات الأخرى عن كيف يمكن أن يعاش هذا الإيمان المسيحي في العالم؟ ما هي علاقة الإيمان المسيحي بالثقافة والمجتمع، بالعلوم المختلفة والفنون، بالسياسية والتعليم؟ وما بين اللاهوت العقيدي والتطبيق العملي تعيش الكنيسة دومًا هذا التوتر الخلاق.

تتعاقب الأزمنة وتتغيّر التحديات التي تواجهها الكنيسة، لكن تظل دعوتها أن تكون ملحًا للأرض ونورًا للعالم هي بوصلة كنيسة الرب يسوع للقيام برسالتها ودورها في العالم. صارعت الكنيسة مع هذه الدعوة منذ مولدها حتى يومنا هذا. كيف نعمل مع الله لخلق عالم أفضل؟ كيف تتجسّد الكنيسة، جسد المسيح، للمجتمع؟ ما هي الطريقة الأمثل للتفاعل المجتمعي؟ كيف تكون الكنيسة أمينة لدعوتها في العالم دون أن تفقد هويتها أو تساوم عليها؟ صارعت الكنيسة عبر تاريخها الطويل مع هذه الأسئلة واتخذت خدمتها أشكالًا عديدة ما بين المد والجزر، الاندماج والتقوقع، الفعل ورد الفعل، المواجهة والمهادنة، الانسحاب والمشاركة.

لكن بغض النظر عن كيفية فهم الكنيسة لدعوتها في زمانها ومكانها، وبغض النظر عن كونها أصابت أو أخطأت، لعب الفكر اللاهوتي دورًا مركزيًّا في صياغة خارطة طريق، استراتيجية، لشكل ومضمون التفاعل المجتمعي سواء كان سلبًا او إيجابًا. تناقش هذه الدراسة فكر التنمية السياسية في المجال العام مع التركيز على اللاهوتي الهولندي أبراهام كايپر كنموذجٍ لهذا التفاعل الإيجابي. سأقدم أولًا نبذة مختصرة جدًّا عن كايپر ثم أعرض لثلاث أسس لاهوتية لفكر التنمية السياسية في المجال العام.

من هو أبراهام كايپر؟

وصفه أعداؤه بأنه "مقاوم ذو عشرة رؤوس ومائة يد"، كما وصفه أصدقاؤه بأنه "عطية سخية من الله لزماننا."[1] إنه اللاهوتي والسياسي الهولندي أبراهام كايبر (١٨٣٧–١٩٢٠م). لقد كان كايبر عبقريًّا حباه الله كثيرًا من المواهب التي استخدمها بأمانة واتضاع شديدين لخدمة الله وخير البشرية.

قبل موته عام ١٩٢٠م في سن الثالثة والثمانين، نشر أبراهام كايبر العديد من الكتابات اللاهوتية القيّمة، المقالات الأكاديمية، التحليلات الصحفية، عدة كتب تحوي عظاته، وعدة أجزاء تحتوي على مقالاته وخطبه البرلمانية. كانت مراسلاته الشخصية أيضًا كثيرة وغنية شملت الكثير من أفكاره ومشروعاته ورؤيته للكثير من الأمور. كان كايبر مخططًا رائعًا لديه القدرة على العمل على محاور عديدة في آن واحد.

في عام ١٨٦٧م، وضع كايبر اللبنة الأولى لتأسيس أول مؤسسة لدراسة تاريخ الإصلاح الإنجيلي في هولندا. في عام ١٨٦٨م وُلدت Marnix Vereeniging أول مؤسسة سلطت الضوء على تاريخ الإصلاح بهولندا. كان كايبر أيضًا ناشطًا في المسيرة التعليمية فانضم لاتحاد المدارس المسيحية القومية التي دافعت عن حرية التعليم المسيحي في المدارس الخاصة وساعدت في ارتقاء التعليم في هولندا. في عام ١٨٨٠م، أدرك أهمية التعليم المُصلَح الجامعي فأسّس جامعة مسيحية هي "جامعة أمستردام الحرة The Free University in Amsterdam". ساعد كايبر أيضًا في ميلاد كنيسة مصلحة جديدة عام ١٨٨٦م تكونت أساسًا من كنائس محلية وأفراد ضاقوا ذرعًا بالكنيسة المصلحة التابعة للدولة والتي لم تكن إلَّا بوقًا لسياسة الحكومة الهولندية. لم يغفِل كايبر الفقراء والطبقة الكادحة فنظّم عام ١٨٩١م مؤتمرًا كبيرًا ناقش فيه دور الكنيسة نحو الفقراء والمهمشين.[2] شملت اهتمامات وانشغالات كايبر أيضًا عالم الصحافة فعمل محررًا عامًّا لما يقرب من خمسة عقود لإحدى الجرائد القومية التي كانت تصدر يوميًّا. شغل كايبر منصب رئيس وزراء هولندا في الفترة من عام ١٩٠١م حتى عام ١٩٠٥م. ألبس كايبر الكالڤينية الكلاسيكية ثوبًا بهيًّا ومكّنها من التحدث بلغة العصر والذي عرف بـ "الكالڤينية الجديدة أو Neo Calvinism".

السؤال الذي تجيب عنه هذه الدراسة هو: ما الذي جعل أبراهام كايبر، وهو اللاهوتي الكالفيني المُجدِّد والأستاذ الجامعي، أن ينشغل بفكر التنمية السياسية في المجال العام؟ ما الأسس اللاهوتية التي بنى عليها كايبر دعوته للمجال السياسي؟ أعرض في هذه الدراسة أنَّ نقطة انطلاق كايبر للانشغال بالشأن العام هو فكر الكالڤينية الجديدة، والتي لا تختلف في جوهرها عن الكالڤينية الكلاسيكية، بل استكمالًا لها وبعث روحٍ جديدة قادرة على مخاطبة

[1] John Hendrick de Vries, biographical note to *Lectures on Calvinism*, by Abraham Kuyper (1931; reprint, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), iii.
[2] Abraham Kuyper, *Christianity and the Class Struggle* (Grand Rapids: Piet Hein, 1950), 18.

الثقافة الهولندية والأوربية في القرن التاسع عشر. ولا سيما في أعقاب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، نشر كارل ماركس أجندته الشيوعية عام ١٨٤٨م، ونشر تشارلس داروين كتابه "في أصل الأنواع On the Origin of Species" عام ١٨٥٩.

لا يختلف اثنان اليوم أنَّ مصدر إلهام هذا الرجل وعطائه هي رؤية روحية عميقة وجدت جذورها في اللاهوت المصلَح بشكل عام والفكر الكالڤيني بشكلٍ خاص. ثلاثة أسس كان لهم أعظم الأثر في تشكيل الفكر اللاهوتي لكايپر بخصوص التفاعل المجتمعي وفكر التنمية السياسية في المجال العام. هذه العقائد الثلاث هي: عقيدة سلطان الله المطلق، عقيدة النعمة العامة، وعلاقة تصالحية بين الإنجيل والحضارة.

أولًا: عقيدة سلطان الله المطلق

شكّلت عقيدة سلطان الله المطلق العمود الفقري لفكر كايپر اللاهوتي. آمن كايپر أنَّ الله ملك، صاحب سلطان مطلق، غير محدود. لا يقتصر سلطان الله علي المجال الروحي فقط، بل يشمل أوجه الحياة كلها؛ الفكر والثقافة، الكنيسة والمجتمع، الروحي والزمني. ألهمت هذه البديهية اللاهوتية الراسخة الهدف الأسمى الذي تبناه كايپر لحياته وهو تجديد وإحياء الكنيسة والأمة الهولندية لخلق عالم أفضل. عبّر كايپر عن هذا الهدف قائلًا: "لديَّ رغبة واحدة قد امتلكت قلبي وحياتي. دافع واحد قد أصبح هو الحافز لعقلي وروحي. لتُفارقني أنفاس الحياة إن أردت أن أتخلى عن هذه الضّرورة المقدسة التي وضعها الرَّبُّ عليَّ. على الرغم من كل المقاومة التي نجدها في العالم اليوم، لتُعلن طرق الرَّبِّ في البيت، في المدرسة، وفي الدَّولة لخير كل الناس؛ لتُحفر طرق السيد الرَّبّ كما لو أنها محفورة في ضمير هذه الأمَّة كما يشهد عنها الكتاب المقدَّس والخليقة، حتَّى تعود الأمَّة لله".[3]

وجد كايپر في الكالڤينيَّة الجديدة أو الـ *Neo Calvinism* – وهي الكالڤينيَّة بعد عصر الحداثة أو الـ *Modernity* أو الكالڤينيَّة في ضوء الحداثة–[4] منهاجًا مُتميزًا للتفاعل المجتمعيّ. تهدف الكالڤينيَّة الجديدة إلى بناء رؤية كونيَّة شموليَّة مركزها الله. تبدأ هذه الرؤية بقناعة كاملة ويقين راسخ بسلطان الله، فكل أركان هذا الكون الشَّاسع، وكل نشاط بشريّ سواء كان دينيًّا أو عالميًّا، ينبغي أن يكون خاضعًا لسلطان الله. طوّر كايپر فكرة شموليَّة مجال سلطان الله أو *Sphere Sovereignty* لكي يؤكد حقيقة أنَّ سلطان الرَّبِّ يسوع يشمل كل ركن وكل مجال من مجالات الحياة المختلفة سواء كانت الأسرة، الكنيسة، الدَّولة، مجالات التعليم والفلسفة والفنون، العلوم واللَّاهوت. في خطابه الافتتاحي في أثناء حفل تدشين جامعة أمستردام الحرة أو

[3] John Hendrick de Vries, Biographical note to *Lectures on Calvinism,* by Abraham Kuyper (1931; reprint, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), iii.
[4] Carl R. Trueman, "Calvinism" in *The Dictionary of Historical Theology,* Trevor A. Hart, ed. (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2000) 103.

The Free University of Amsterdam عام ١٨٨٠م قال كايبر كلمته الشهيرة "لا يوجد جزء واحد من عالمنا الفكريّ في انفصال عن الباقي، ولا يوجد سنتيمتر واحد في كل الوجود الإنساني لا يعلن عليه الرَّبُّ يسوع – كُلِّيّ السُّلطان– هذا لي!".[5]

بالنسبة لكايبر، لم تكن الكالڤينيَّة مُجرد طائفة أو حتَّى نسق فكريّ وعقيديّ. الكالڤينيَّة أكبر وأشمل من هذا بكثير. في وجهة نظري، الكالڤينيَّة هي عالم في ذاتها وطريقة لرؤية الحياة تمكِّننا من فهم الواقع الإنساني بكل تناقضاته. طبقًا للكالڤينيَّة الجديدة، لكل واحد من شعب الرَّبِّ دعوة خاصَّة ومحدَّدة من الله طبقًا لوظائفهم في الحياة. عندما نقوم بوظائفنا في الحياة من هذا المنظور، فإنّ الله يسترد، ويجدِّد، ويفدي المجالات الطبيعيَّة والروحيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة للخليقة. يعمل المؤمنون في العالم في كل هذه المجالات المختلفة، كل بحسب دعوته، لكي يحضروا العالم للمسيح الذي تخضع له كل الخليقة بحق الخلق والفداء.

يعطي هذا النموذج المُصلَح للمسيحيين ما يحتاجون ليكونوا وكلاء حكماء في المجتمع وفي الوقت نفسه يحمي الكنيسة كمؤسسة من القيام بدور الوصاية على أعضائها وإملائهم أيَّة سياسات عامَّة. نبّر كايبر أيضًا على احتياج الدَّولة أن تمارس سلطانها في مجالها الخاصّ وفي المسؤوليات المنوطة بها. يقول كايبر: "يجب ألَّا تكون الدَّولة مثل الأخطبوط الذي يخنق كل أوجه الحياة. يجب على الدَّولة أن تؤدي رسالتها فيما أوكل إليها، وبالتالي تحترم وتعضِّد كل أشكال الحياة التي تنمو باستقلاليّة داخل الكيان الأكبر".[6] تعتبر عقيدة سلطان الله المطلق هي الركيزة الأساسيَّة للتفاعل المجتمعي والذي يمكّن تلاميذ المسيح في العالم من القيام بمسؤولياتهم وأدوارهم المختلفة في المجتمع.

ثانيًا: عقيدة النّعمة العامَّة

تمثِّل عقيدة النّعمة العامَّة اللَّبِنَة الثَّانية في فكر كايبر بخصوص دور الفكر اللّاهوتيّ في خلق آليَّة للتفاعل المجتمعيّ عامَّةً وفي تطور فكر التنمية السياسية خاصَّةً. على الرغم من اتساع الفجوة بين عالمين مختلفين تمامًا، العالم في صورته السَّاقطة والعالم في صورته المفديَّة، إلَّا إنّ هناك رجاء في رَتق الفجوة بينهما. هناك نقطة التقاء مُهمة بين المسيحيّ والعالم، بين عالم المؤمنين وعالم غير المؤمنين. نقطة الالتقاء هذه لا يمكن أن تكون إنكارًا أو تقليلًا من آثار الخطيَّة على عالمنا وكأن السقوط لم يحدث ولم تدخل الخطيَّة عالمنا لأنَّه وقتها سنكون أنصاف بيلاجيون [نسبة إلى بيلاجيوس] مما

[5] James D. Bratt, ed. *Abraham Kuyper: A Centennial Reader* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1998) 488.
[6] http://www.ccel.org/ccel/kuyper/lecture.pdf or *Lectures on Calvinism the Stone Lectures of 1898* (Peabody: Hendrickson, 2008) 96, 97.

يتنافى مع العقيدة الكالڤينيَّة بفساد الإنسان الكامل. بالإضافة إلى مفهوم سيادة الله وسلطانه، رأى كايپر في مفهوم النّعمة العامَّة أو *Common Grace* الدور الإلهيّ في خلق عالمٍ أفضل. إنَّ المرض عِضال، كل الرأس مريض وكل القلب سقيم، وبالتالي هذا التناقض والتضاد بين ما هو كائن وما يجب أن يكون يحتاج فيها عالمنا إلى تدخل إلهيّ.[7] بالطّبع التعليم عن النّعمة العامَّة لم يكن تعليمًا جديدًا قدمه كايپر فقد نادي به المصلح چون كالڤن من قبله، لكنَّ كايپر توسّع فيه ووظّفه كآليَّة للتواصل والتفاعل المجتمعيّ.

لكن ما المقصود بـ"النّعمة العامَّة"؟ بالإضافة إلى النّعمة المُخلِّصة، وهي عطيَّة الله الخاصة لمختاريه، هناك أيضًا نوع آخر من النّعمة التي أسبغها الله على كل البشر. بينما نجد أنَّ النّعمة الخاصة تُجدِّد قلوب المختارين وتُغيِّرها، نجد أنَّ النّعمة العامَّة تُقيِّد نتائج الخطيَّة المُدمرة في قلوب البشر عامَّةً وتمكّنهم أن يطوروا وأن يتبنّوا بعض المُبادرات الخيِّرة. من خلال النّعمة العامَّة، يمكن أن يقدم كل إنسان أشياء إيجابيَّة تُضيف للخير والصّالح العامّ كما أمرنا الله قبل السقوط.

من هذا المنظور يمكننا أن نقول إنَّ الحضارة والتقدم في مجالات الحياة المختلفة والإبداع لا ينبع من الشرّ أو الشيطان، بل من الله الذي أعطى نعمته بغنى لخلائقه. ففي حين نَجد أنَّ الأشخاص غير المُجدِّدين عاجزون عن فعل ما هو صالح روحيًّا، لكنهم قادرون على القيام ببعض الصّلاح مدنيًّا واجتماعيًّا. "كِلتا المجموعتين شُركاء مع الله وأدوات في يد الله."[8] بهذا المفهوم يتَّضح لنا كيف أنَّ كايپر لم يُعادِ حركة التنوير إذ إنها بالفعل أسقطت أنظمة قديمة وكانت السبب المباشر في ميلاد أنظمة اجتماعيَّة ديمقراطيَّة خفّفت أعباء البشر ومعاناتهم الاقتصاديَّة والسياسيَّة. ومع ذلك انتقد كايپر بعض ملامح عصر النهضة خاصَّةً معاداتها للدين ومناداتها باستقلاليَّة الإنسان كبديل لسلطان الله المطلق على حياتنا.

ثالثًا: علاقة الإنجيل بالحضارة

يُعدّ اللّاهوتيّ الأمريكيّ ريتشارد نيبور *Richard Niebuhr* (١٨٩٤م- ١٩٦٢م) واحدًا من أفضل اللّاهوتيّين الذين تناولوا قضيّة علاقة الإنجيل بالحضارة. في عام ١٩٥١م، نشر نيبور واحدًا من أهم كتبه وهو المسيح والحضارة أو *Christ and Culture*.[9] قدّم نيبور خمسة نماذج محتملة لعلاقة الإنجيل بالحضارة أو الثّقافة: أوّلًا، المسيح ضدّ الثّقافة *Christ against Culture*. في هذا النّموذج يُرى المسيح ضدًّا للحضارة الإنسانيّة، وخاصّة

[7] Abraham Kuyper, *Calvinism, Six Stone Lectures* (1898), the fourth lecture on 'Calvinism and Science'.
[8] Ibid.
[9] H. Richard Niebuhr, *Christ and Culture* (San Francisco: Harper & Row, 1951).

الثّقافة أو الحضارة الوثنيَّة. من يتبنون هذا النّموذج يرون أنّ الثقافة ضدّ الإيمان المسيحيّ، ولا يمكن أن تكون بينهما علاقة. ثانيًا، مسيح الحضارة *Christ of Culture*. في هذا النّموذج يُرى المسيح في مواءمة أو اتفاق مع الحضارة. يدعو هذا النّموذج رسالة الإنجيل الي التّكيف مع الحضارة أيًّا كانت، وتفسير إيماننا المسيحيّ في ضوء الخلفيَّة الحضاريَّة والمعطيات البيئيَّة. ثالثًا، المسيح فوق الحضارة *Christ above Culture*. لا يرى هذا النّموذج الحضارة كونها ضدّ المسيح، لكنه في الوقت ذاته لا يرى الحضارة مساوية للمسيح أو للإيمان المسيحيّ. يُبنى هذا النّموذج على فهم توما الأكوينيّ للنِّعمة والطبيعة (*Grace and Nature*) الذي يرى أنَّ الإعلان الإلهيّ أعلى وأسمى من العقل البشريّ. رابعًا، المسيح والحضارة في تضادّ أو تخالف تامّ *Christ and Culture in Paradox*. قدّم القديس أوغسطينوس هذا النّموذج في مفهوم المدينتين وقدّمه أيضًا المُصلِح مارتن لوثر في مفهوم المملكتين. يرى هذا النّموذج التّضاد بين مملكة الله ومملكة العالم، بين المسيح والحضارة، بين العقل والإيمان. هناك توتر دائم بين الإنجيل والحضارة هنا كون الحضارة تنتمي لهذا العالم بينما الإنجيل من فوق؛ بينما الأوّل زمنيّ، فالثّاني أبديّ. خامسًا، المسيح مُغيّر الحضارة *Christ Transforming Culture*. تبنّى كايبر والكالڤينيَّة الجديدة هذا النّموذج وهو نموذج يرى أن الله هو المصدر وهو الخالق للحضارة الإنسانية بكل مكوناتها. فالله هو مصدر اللُّغة والجمال والإبداع وهو من أعطى آدم وحواء ألبسةً من جلد ليستترا بها. يرى هذا النّموذج يد الله خلف كل تقدم حضاريّ. صحيح أنَّ الحضارة قد وصمتها الخطيّة وشوّهت الصورة الإلهيّة فيها، لكنَّ فداء المسيح للعالم وحضوره في العالم قادر على استعادة الخليقة وفدائها.

كما ذكرت آنفًا، تبنّت الكالڤينيَّة الجديدة هذا النّموذج الأخير، نموذج المسيح مُغيّر الحضارة، فانشغلت بهموم النّاس وأوجاعهم وفي الوقت نفسه، لم تخطُ للعالم بقوتها الذاتيّة بوصفها فلسفةً إنسانيّةً بحتة، بل بقوة سيدها، هذا الذي له القدرة على الخلق والفداء. تقدم لنا كلمة الله إله لا يؤمن بالفشل، بل يقدم لنا مرّةً تلو الأخرى محبَّة فياضة ونعمة متجدِّدة تهدف لفداء الإنسان وفداء الخليقة. في قلب رسالة الإنجيل يقين بأنّ الله يخلق من العدم، يعطي حياة لأولئك الذين دبَّ الموت في أوصالهم.

عندما يتقابل إنجيل المسيح مع الحضارة –أيَّة حضارة– فهو لا يرفضها لأنها مختلفة ولا يكفِّرها فينزوي وينعزل بعيدًا عنها. وهو أيضًا لا يقبلها كما هي من دون نقدٍ أو تحليل. لكنَّ ما يفعله إنجيل المسيح بحق، أنّه يحضر الحضارة بكل مكوناتها تحت نور إنجيل المسيح، يتحاور معها بشجاعة وبإيمان في قدرة الرَّبِّ المُقام، بل ويُبكِّتها عندما يرى الحضارة قد ابتعدت عن غرض الله للإنسان وللخليقة.

إنّ السعي الى خلق علاقة تصالحية بين الإنجيل والحضارة وكذا التوازن الأمين بين الدورين الكهنوتي والنبوي للكنيسة كان ركيزة هامة انطلق منها كايبر وحركة الكالڤينية الجديدة للانشغال بالشأن العام ولا سيما في فكر التنمية السياسية. كان الشغل الشاغل للكالڤينية الجديدة عامةً ولإبراهام كايبر

خاصةً هو البحث عن طرق وقنوات وآليات يمكن من خلالها أن يتواصل الإنجيل مع الثقافة الأوروبية التي رفضت شكلًا وموضوعًا الإيمان المسيحي. كيف تخدم الكنيسةُ العالمَ على نحوٍ أفضل؟ كيف ترتقي بالمجتمع؟ كيف تقوم بدورها الكهنوتي كوسيط بين الله والعالم؟ لو فكرنا في هذا الأمر من منظور لاهوتي سنرى أنَّ الرغبة في خلق هذا التواصل هي في الأساس "مسؤولية كهنوتية". للكنيسة –للمؤمنين في العالم– دور كهنوتي، كما أنَّ لها دورًا نبويًّا.

في العهد القديم نرى هذين النموذجين لكلٍّ من النبي والكاهن متمثلين في موسى وهارون. دُعي موسى أن يكون نبيًّا ودُعي هارون أن يكون كاهنًا. للنبي وللكاهن دور مهم في تعامل الله مع شعبه. يعلن النبي عن رسالة الله وأشواق قلبه لشعبه "هكذا قال الرب"، بينما يقود الكاهن الشعب إلى طاعة الوصية وإلى تحقيق الرسالة النبوية على أرض الواقع. إنَّ المشكلة والخطورة هنا أنه يمكن للكاهن والنبي أن يضلوا طريقهما. وقع هارون الكاهن في سفر الخروج إصحاح ٣٢ ضحية إرضاء الشعب والتي قادته إلى عمل العجل الذهبي، وبناء مذبح له، وقيادة الشعب في العبادة والرقص حول العجل. كيف يمكن لهارون أن يقول: "هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ"؟ كيف حدث هذا؟ إنَّ التجربة للانصياع لما يطلبه الناس، لمجاراة الثقافة، هي تجربة الكنيسة في كل العصور. يمكن للنبي أيضًا أن يقع في نفس الخطأ. ضاق موسى ذرعًا بشكوى الشعب وتذمره. ضرب الصخرة وفقد صبره. كم من الأنبياء الكذبة الذين نطقوا بكلام لم يكن من الله على الإطلاق؟ إنَّ تاريخ الكنيسة والفكر اللاهوتي يحتوي على كثير من هذه الأمثلة. ما أكثر المرات التي فيها يرتدي الكاهن والنبي عباءة العالم فيخفت نور الرسالة وتضيع فاعليتها!

رأى كايپر أنه لسنوات عديدة لم تفهم الكنيسة الهولندية جيدًا دورها الكهنوتي بصفتها مصالِحًا بين الله والعالم كما أنها لم تقم بدورها ورسالتها النبوية. صحيح أنها انتقدت الحكومة؛ حاولت الدفاع عن الفقراء والمهمشين. لسنوات طويلة قاوم الفكر اللاهوتي ظلم الدولة وقاوم الكثير من آراء الحداثة. رأى كثيرون من الكنسيين أنَّ العالم في حالة مذرية. وماذا حدث بعدها؟ لا شيء. ذهب المتعبدون إلى بيوتهم وكأن شيئًا لم يكن. أنا لا أقلل بأي شكل من الأشكال لدور الكنيسة النبوي، لكم من وجهة نظري، الدور النبوي والدور الكهنوتي للكنيسة وجهان لعملة واحدة ويجب أن يسيرا معًا جنبًا الي جنب. إنَّ المسؤولية الأساسية لدور الكنيسة الكهنوتي هو المصالحة. على الرغم من اتساع الفجوة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، تقوم الكنيسة بخدمتها الكهنوتية دون توقف حتى يتصَالح هذان العالمان.

يبدأ الانشغال بالشأن العام عندما تدرك جماعة المؤمنين مركزية دورها الكهنوتي ودورها النبوي. عندما تدرك الكنيسة بأمانة دورها الكهنوتي، فإن هذا كفيل بأن يعبئ ويحشد شعب الرب للقيام بمسؤوليتهم في العالم والمساعدة في بناء حياة تسودها المحبة وتحكمها قيم العدل والمساواة الاجتماعية والاقتصادية. الدور الكهنوتي هو دور تصالحي يسعى لمصالحة الواقع الإلهي بالواقع البشري. لا يقف دور الكنيسة عند دورها النبوي –عند "هكذا قال

الرب"– بل يتعداه ليشمل دورها الكهنوتي. هذا هو الفرق بين من يدعون النبوة ومن أرسلهم الله بالفعل.[10] تتبادل الكنيسة هذين الدورين باستمرار وهكذا يرتبط الدوران النبوي والكهنوتي ارتباطًا وثيقًا ببعضهما البعض فهما يحتاجان أحدهما الآخر ولا يمكن لواحد أن يحيا دون الآخر.

إنَّ رسالة الإنجيل رسالة شمولية لا تستثني وجهًا من أوجه الوجود الإنساني كونه بعيدًا عن عمل نعمة الله أو لا يخضع لسلطان الله. يقول اللاهوتي الهولندي باڤنك: "إنَّ الإنجيل هو رسالة الأخبار السارة ليس فقط للأفراد، لكن للبشرية جمعاء؛ للأسرة، للمجتمع، للدولة، للفنون والعلوم، للكون بأكمله، لكل الخليقة التي تئن وتتمخض".[11] ولهذا السبب يرفض الفكر الكالڤيني الثنائية بين ما هو روحي وجسدي، ديني ودنيوي، إذ أنَّ كل الخليقة، كل أوجه الحياة في حاجة ماسة للإنجيل. ما زالت كلمات الرب في سفر التكوين 1: 26–28 تحمل تكليفًا إلهيًّا بالإعمار والبناء، الخلق والإبداع، الحفظ والرعاية. هذا التكليف له طبيعة شمولية، فهو يشمل كل الكون وكل أوجه الحياة بلا استثناء. ما زال الله يخلق، ويخلق من العدم Ex nihlio. هذا الخلق والإبداع نراه داخل الكنيسة وخارجها، في الجسد والروح، في الثقافة والفنون، في السياسة والاقتصاد، في العلوم والفلسفة. ليتعالَ أسم فادينا ولتمتلئ الأرض –كل الأرض– من مجده. آمين.

قائمة المراجع

Bavinck, Herman. “The Catholicity of Christianity and the Church.” *Calvin Theological Journal* 27 (1992): 220–251.

Bratt, James D., ed. *Abraham Kuyper: A Centennial Reader*. Grand Rapids, MI: Wm. B. Eerdmans–Lightning Source, 1998.

de Vries, John Hendrick. Biographical note to *Lectures on Calvinism* by Abraham Kuyper. 1931; reprint. Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994.

Kuyper, Abraham. *Christianity and the Class Struggle*. Grand Rapids, MI: Piet Hein, 1950.

_____ . *Lectures on Calvinism: Six Lectures Delivered at Princeton University under Auspices of the L. P. Stone Foundation.* Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1931.

Niebuhr, Richard H. *Christ and Culture*. San Francisco: Harper & Row, 1951.

Trueman, Carl R. "Calvinism," in *The Dictionary of Historical Theology*. Edited by Trevor A. Harted. Grand Rapids: Eerdmans, 2000.

Van Ekris, Cornelis Marius Adrianus. *Making See: A Grounded Theory on the Prophetic Dimension of Preaching.* Zürich/Berlin: LIT, 2018.